# الأثر الاقتصادي للحضارة الإسلامية في أوروبا خلال العصور الوسطى (92 هـ - 897 ه / 711 م – 1492م)

**د. سالمة خليفة سعد الشوين**

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة غريان

salemasho69@gmail.com

**المستخلص:**

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الأثر العميق الذي أحدثته الحضارة الإسلامية في تشكيل النظام الاقتصادي الأوروبي خلال العصور الوسطى. فقد أسهمت الحضارة الإسلامية عبر الأندلس وصقلية والمشرق، في إدخال أوروبا إلى أنماط جديدة من الإنتاج والتجارة والتنظيم المالي، من خلال نقل معارف متقدمة في الزراعة والصناعة والتجارة كما أدت عمليات التبادل العلمي والتجاري بين العالمين الإسلامي والأوروبي إلى تحفيز حركة اقتصادية جديدة ساعدت على احياء مراكز الحضرية، وظهور طبقات تجارية نشطة، وتوصلت الدراسة إلى أنّ هذا التأثير لم يكن عرضياً أو محدوداً بل كان عاملاً حاسماً في تمهيد الطريق للنهضة الاقتصادية الأوروبية التي بدأت في آواخر العصور الوسطى.

**الكلمات الدالة:** الحضارة الإسلامية - العصور الوسطى - الاقتصاد الأوروبي – التبادل التجاري – الاندلس.

# The Economic Impact of Islamic Civilization in Europe During the Middle Ages

## (Timeline) (92 AH - 897 AH / 711 AD - 1492 AD)

**Dr. Salma Khalifa Saad Al-Shawin**

Department: History Faculty: Arts University: Gharyan

**Abstract**

This study aims to shed light on the profound impact that Islamic civilization had on the formation of the European economic system during the Middle Ages .The Islamic civilization through Andalusia ,Sicily and the Levant contributed to the introduction of Europe into new modes of production ,trade ,and financial organization ,through the transfer of advanced knowledge in agriculture ,industry ,and commerce In the late Middle Ages.

**Keywords:** Civilization / Middle Ages / European Economy / Trade / Andalusia

**المقدمة:**

تؤكد الوقائع التاريخية بأن هناك تفاعلاً مثمراً ويجري بصفة مستمرة بين البلاد العربية والإسلامية وأوروبا الغربية في ميادين فكرية متعددة ومجالات مجتمعية مختلفة، وهذا التفاعل يؤدى إلى التطور الذي كانت تشهده أوروبا والبلاد العربية في كل فترة من فترات التاريخ، حيث شهدت العصور الوسطى في أوروبا تحولات شملت كل الجوانب سواء الفكرية أو الثقافية أو الاقتصادية، وكان للحضارة العربية الإسلامية دور بارز في إحداث هذه التطورات.

وعلى الرغم من وجود العديد من الدراسات التي تناولت التأثير العربي الإسلامي على أوروبا في العصور الوسطى إلا أن أغلب هذه الدراسات تركزت على الجوانب الفكرية أو الثقافية دون الخوض في الجانب الاقتصادي لاسيما من خلال نقل وتطوير التقنيات الاقتصادية في مجال الزراعة والصناعة والتجارة. لذا، تأتي هذه الدراسة لسد الفجوة المعرفية من خلال تسليط الضوء على آليات نقل التقنيات الاقتصادية الإسلامية، وكيفية تكيفها في السياق الأوروبي مع التركيز على المشاريع الزراعية والصناعية التي لعبت دوراً محورياً في هذه العملية بالإضافة إلى ازدهار التجارة بين البلاد الإسلامية والأوروبية خلال العصور الوسطى.

**مشكلة الدراسة:**

تدور إشكالية هذه الدراسة حول معرفة الأثر الاقتصادي للحضارة العربية الإسلامية في أوروبا خلال العصور الوسطى، وعلى الرغم من كثافة الكتابات التاريخية حول العلاقات بين الحضارة العربية الإسلامية وأوروبا خلال العصور الوسطى، إلا أن أغلبها انصب على الجوانب الفكرية والعلمية، مع إهمال لدراسة الأثر الاقتصادي المباشر، خصوصاً فيما يتعلق بنقل التقنيات الزراعية والصناعية وأنماط التجارة من العالم الإسلامي إلى أوروبا، ومن هنا يأتي السؤال المحوري:

إلى أي مدى ساهمت الحضارة العربية الإسلامية في تشكيل البنية الاقتصادية لأوروبا خلال العصور الوسطى، من خلال نقل أنظمة وتقنيات الزراعة والصناعة والتجارة؟ وكيف كان الاتصال بين أوروبا والبلاد العربية الإسلامية؟

**أهمية الدراسة:**

تبرز أهمية الدراسة كونها تبحث في موضوع العلاقات العربية الأوروبية فيما يخص الأثر الاقتصادي للحضارة العربية الإسلامية في أوروبا خلال العصور الوسطى

وهو جانب قلما تناولته الدراسات الأكاديمية مقارنة بالجوانب الفكرية والعلمية، إذ تقوم هذه الدراسة على تسليط الضوء على الدور المحوري للحضارة العربية الإسلامية في نقل المعرفة الاقتصادية وخاصة في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة إلى أوروبا خلال العصور الوسطى.

**أهداف الدراسة:**

أن الهدف من هذه الدراسة يتمثل في معرفة الأوضاع الاقتصادية السائدة في كل من العالم الإسلامي وأوروبا خلال العصور الوسطى، ومعرفة كيف كان الاتصال بين البلاد العربية الإسلامية وبين أوروبا الغربية في هذا المجال بشكل خاص أي محاولة توضيح مظاهر الاقتصادية ذات الطابع الإسلامي في الاقتصاد الأوروبي، كما تهدف الدراسة في سد فجوة معرفية في حقل الدراسات التاريخية والاقتصادية.

**منهج الدراسة:**

المنهج المتبع في هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي القائم على استنطاق النصوص ونقدها.

**حدود الدراسة:**

تناولت هذه الدراسة الفترة الممتدة من القرن الثامن الميلادي (الثاني الهجري) وهي فترة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بعد الفتوحات الكبرى، وصولاً الى القرن الرابع عشر الميلادي والثامن الهجري الذي يعد بداية التحول نحو النهضة الأوروبية، وتم اختيار هذه الفترة نظراً لأنها شهدت ذروة التفاعل الحضاري والاقتصادي والتواصل بين العالم الإسلامي وأوروبا سواء عبر الأندلس أو صقلية أو البحر المتوسط هذا وقد ثم تقسيم الورقة إلى:

## الفصل الأول:

## الإطار المفاهيمي والنظري

### المبحث الأول: مفهوم الحضارة الإسلامية وأبرز خصائصها الاقتصادية

الحضارة الإسلامية هي مجموعة من المظاهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي أبدعها المسلمون في ظل تعاليم الإسلام، والتي انتشرت من الجزيرة العربية إلى سائر أنحاء العالم، متأثرة ومؤثرة في الحضارات الأخرى، ومتميزة برؤية توحيدية شاملة للإنسان والكون والحياة (مصطفى السباعي، 1998: ص15-16).

حيث تميز النظام الاقتصادي في الحضارة الإسلامية بعده خصائص رئيسية استمدها من الشريعة الإسلامية، ما جعله نظاماً أخلاقيا وإنسانيا في الوقت ذاته، ومن أبرز هذه الخصائص:

1- التكافل الاجتماعي والاقتصادي: من خلال الزكاة والوقف في سبيل الله جعل من الاقتصاد الإسلامي اقتصاداً تضامنياً.

2- تحريم الربا والميسر: مما يمنع الاستغلال المالي.

3- احترام الملكية الخاصة: مع ضبطها بضوابط شرعية حيث أقر الإسلام بحرية التملك الفردي لكن قيده بعدم الإضرار بالمصلحة العامة.

4- حرية التجارة: دعم الإسلام التجارة ومنع الاحتكار والغش.

5- دور الدولة في تنظيم السوق بتحديد الأسعار عند الضرورة ومراقبة جودة السلع ، ومنع الغش واشراف المحتسب.

(محمد عبد الله العربي، 2005: ص 120-120).

حيث غابت الحركة التجارية والصناعية وفقدت أوروبا قدرتها على التجديد، مما جعلها تتطلع لاحقا إلى الحضارة الإسلامية، التي جاءت بأنظمة اقتصادية متطورة، كالزكاة والوقف، والمؤسسات المالية والأسواق التجارية مما ساعد على بعث الحياة الاقتصادية فيها بعد قرون من الجمود.

**المبحث الثاني: ملامح الوضع الاقتصادي في أوروبا قبل الاحتكاك بالحضارة الإسلامية**

عاشت أوروبا خصوصاً خلال القرنين الخامس حتى التاسع الميلادي ما يعرف بـ (العصور المظلمة) وهي فترة اتسمت بالاضطراب السياسي والانحطاط الحضاري حيث عاشت أوروبا ولمدة تقارب الثلاثمائة سنة مرحلة ركود في جميع مجالات الحياة[1]، ( WHich Bork Fier )(Die, 1934, P564) فعقب سقوط الأمبراطورية الرومانية الغربية 476 م تفككت الطرق التجارية البرية والبحرية مما أدى إلى التراجع الحاد في النشاط التجاري سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي. وأصبحت المعاملات تجرى بالمقايضة نظراً لندرة العملة المعدنية وتوقف سك النقود في كثير من الأقاليم مما جعل القارة الأوروبية تعيش في عزلة شبه كاملة حيث وصفتها الدراسات الحديثة:- بـ ((الانغلاق الاقتصادي))[2] (هنري بيرين ومحمد شارلمان، 2001: ص60-61).

كما ظهر في أوروبا ما يعرف بالنظام الإقطاعي حيث أصبحت الأراضي الزراعية ملكاً للنبلاء والاقطاعيين، بينما عمل الفلاحون فيها كأقنان لا يملكون حريتهم ولا حقهم في الإنتاج[3] (جاك لوغوف، 2005: ص45).

وكانت الكنيسة تسيطر على كثير من الموارد وتفرض الأتاوات، مما زاد العبء على عامة الناس، وأدى إلى احتكار الثروة في يد طبقة ضيقة من رجال الدين والاقطاعيين[4] (برنارد لويس، 2002م: ص114)

وانكمشت المدن الأوروبية، وتحولت إلى مراكز شبه محصورة بعد أن كانت مزدهرة في العصر الروماني، وتراجعت الأسواق المنظمة وقلت الحرف والصناعات اليدوية مما أدى إلى جمود اقتصادي[5] (ويل ديورانت، مجلد 4: ص143).

**المبحث الثالث:-**

**قنوات الاتصال والتأثير بين العالم الإسلامي والأوروبي**

إن قنوات الاتصال بين العالم الإسلامي وأوروبا كانت متعددة الأبعاد، ولم تكن مجرد طريق للسلع والبضائع، بل كانت بمثابة صور حضارية، نقلت أسس اقتصادية متطورة إلى العرب ومهمة لاحقا للنهضة الأوروبية في القرون 14 - 16 م.

**من أبرز هذه القنوات:**

صقلية*: حيث فتحت** صقلية في عهد الأغالبة في زمن الأمير زياد الله سنة (212ه / 827م) من أيدى البيزنطيين، كما تمكن العرب من فتح مناطق أخرى بالمنطقة منها جنوب إيطاليا ( قلوريه) سنة (322ه / 933 م) وإقامة إمارة عربية بها[1] (عبد الرحمن بن خلدون، ج 4 ، 1968: ص4215).

وفي معهد دولة ابن أبى الحسن الكليبين (136هـ - 431ه/1947-1039م) ولاة الدولة الفاطمية، استمرت عليه فتح باقي الحصون في صقلية ووقعت بينهم وبين الدولة البيزنطية وقائع منها (وقعه المجاز) سنة (354ه/ 1062م ) . والتي انتصر فيها الأمير أحمد بن الحسن[2] (المصدر نفسه، ج4، 1968: ص447).

---

* صقلية: مدينة جزائر بحر المغرب مقابلة افريقيا وعي مثلثة الشكل وافريقيا منها بين المغرب والقبلة للمزيد انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3 ، ص473

[2] ** فتح صقلية، كانت عملية الفتح بقيادة أسد بن الفرات الذي تمكن من الوصول إلى مازر ، وعلى أنتروقاس سرقوسة سنة (213ه/828م) يمكن القائد زهر بن عوف من افتتاح بلرم سنة (217 ه/ 832م) تم استمرت عملية

إلا ان الأحوال بدأت تسوء في الجزيرة مما أطمع فيها النورمان في جنوب ايطاليا بقيادة رجار الأول (495 هـ / 1101م) التي استطاع الاستيلاء على بلرم سنة (464ه/1071م) [3] (المصدر نفسه، جج4: ص450)، فسقطت الجزيرة نهائياً بعد ذلك (484هـ / 1091 م) [4] (عبد المنعم رسلان، 1980م: ص22).

فقد أحدث العرب تغيراً مهما في نظام ملكية الأراضي وتوزيعها، فالمفردات العربية الكثيرة في اللهجة الصقلية شاهد على اهتمام العرب بالزراعة، فقد أدخلوا إلى الجزيرة عدد من النباتات الجديدة، وعلموا أهل صقلية زراعة القصب وصنع السكر، والقطن واشجار التوت فضلاً عن أشجار الفواكه كأشجار النخيل والمكسرات وايضاً زراعة الخضروات)[5] (عزيز أحمد، 1980: ص46). هذا بالإضافة لصناعة الحديد التي شارك فيها النورمان سنة(542ه/ 1147م) ونبات البردي الذي صنع العرب من آليافه حبال السفن[6] (نجيب زينب: ص189).

وتعتبر أقدم وثيقة مكتوبة على ورق البردي، حيث تصل هذه الوثيقة على أمر إداري أصدرته الكونتيسة زوجة زوجار الأول باللغتين العربية واليونانية سنة (503 هـ / 1109م)[1] (المرجع نفسه: ص189).

2 - الأندلس* : كان هناك تواصل حضاري بين العالمين المتصارعين وكانت تربة الجزيرة الأندلسية ، مثالاً لذلك التواصل الذي شمل قارة أوروبا ، فكانت طرق التواصل أولاً : عن طريق تناقل النصوص الشفوية للقصص العربية والشعر العربي الذي روجه الرواة الجوالون بين أهالي الغرب دون أن يدرك هؤلاء أصله ومصدره، ثانيا المسافرون الأوروبيون الذين توافدوا على بلاد الأندلس بحثاً عن المعرفة والثقافة العربية الإسلامية.

3- التجارة -: لقد استطاع تجار المدن الإيطالية البندقية وجنوا وبيزا السيطرة على معظم المرافئ الاقتصادية والتجارية بحوض البحر المتوسط ، فكانوا حاضرين في كل مرفأ من مرافئ الشام وبحر مرمرة والبحر الأسود وبحر إيجه بالإمبراطورية البيزنطية. وكان للتجار الإيطاليين في كل مدينة تجارية حي قريب من المرفأ حيث يقيمون فيه ويخزنون بضائعهم وكانوا يتمتعون بامتيازات هامة، وبعد أن تمكن المسيحيون من

---

الفتح في عهد باقي الأمراء الأغالبة للمزيد: انظر ابن خلدون ،ج4، ص 425-426، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص5-7.

* الاندلس: هي المنطقة الواقعة في شبه الجزيرة الايبيرية التي خضعت للحكم الاسلامي بعد الفتح الاسلامي عام (92هـ / 711م) بقيادة طارق بن زياد، واستمر الحكم الاسلامي في اجزاء مختلفة من الاندلس حتى سقوط غرناطة سنة (897هـ / 1492م) انظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص432.

وضع اليد على تورسيكا وسردينيا أصبح التواجد التجاري الإيطالي في هذه الجزر وفي جزر البليار ملحوظ[2] (بيار غريمال وآخرون، ج1: ص468).

كانت المنافسة قائمة، في معظم الأوقات بين التجار الإيطاليين ولولا ذلك لأصبح البحر المتوسط بحيرة إيطالية فلقد راحت بفضلهم سلع التوابل والأنسجة الحريرية في كل البلاد الأوروبية [3](ول ديورانت، ج1، 1965: ص75).

وبفعل العامل التجاري، أصبحت هناك علاقات وثيقة بين المدن الأوروبية شبه الجزيرة الإيبيرية، حين كان يتواجد بها التجار من كل صوب يتجاذبون أطراف الحديث ويناقشون قضايا ثقافية ومهنية وبفضل هذا الرواح التجاري والالتقاء الثقافي الحرفي الحضاري - حيث أصبحت المدن التجارية مدن منتجة و مراكز إنتاج وبرزت مدن متخصصة في الصناعات الصوفية والحريرية وتتجه لهذا التطور جهزت المرافئ وشقت الطرق وشيدت الجسور وظهرت ايضاً البوصلة لتلعب دورها في توجه وتحريك السفن (بيار غريبال ، ج1: ص470) .

وبفضل التبادل التجاري توطدت العلاقات بين المدن و أدى إلى نمو سكاني أوجد بعض التنظيمات القانونية قبل نظام المقايضات فزادت الملاحة المزروعة وصاحب ذلك انتقال العملة من الأرياف لتحل محل المقايضات وتنوع الإنتاج الزراعي وأصبح موسمي فتضاعفت الإقطاعات المأجورة في جميع المناطق خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وحدث تبعا لذلك أن أصبحت الإقطاعات الموروثة تلزم بدفع ضريبة مالية والاقتطاعات الممنوحة لقاء قسم من الغلة نفسه ، وهذه كانت ميزه الريف العربي الموجود في أوروبا (بيارغريمال، المرجع السابق، ج1: ص477)

4- الحروب الصليبية: كان لبلاد الشام دوراً كبيراً في نقل بعض مظاهر الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي في العصور الوسطى وذلك لأن بلاد الشام كانت ميداناً للحملات الصليبية وكون فيها الصليبيون امارات مثل (الرها - انطاكيا - طرابلس - بيت المقدس) فقد أدت الحروب الصليبية إلى تكوين صلات حضارية فكرية بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي ( يسرى عبد الغني: المدينة العربية الإسلامية، يسرى عبد الغنى، 1987م: ص176).

حيت تعرف الصليبيون على الصناعات في بلاد الشام ونقلوها إلى بلادهم، فقد ازدهرت هذه الصناعات حتى قبل قدوم الصليبيين لبلاد الشام وكان من بين الصناعات

ما اعتمدت على المنتجات الزراعية ومنها على المواد الأخرى كصناعة الأقمشة الحديدية وصناعة الزجاج والمعادن (حاتم عبد الرحمن الطحاوي، 1999: ص210).

وطبيعي أن تقوم المستعمرات الصليبية بتقليد الصناعات الشامية الزجاجية، حيث نجح البنادقة في صناعة المرايا الزجاجية المطلية بغشاء معدني، لتحل محل المرايا البندقية، فنال الزجاج البندقي شهرة واسعة وانتشر في انحاء أوروبا، كل هذه وصلت إلى أوروبا نتيجة الحملات الصليبية (حاتم عبد الرحمن الطحاوي، 1999م: ص213).

و تعرف الصليبيون على السكر لأول مرة في مدينة طرابلس، فهو يعد من أهم المنتجات الشامية، فاهتموا بزراعة قصب السكر في سهل مدينة صور و مدينة عكارو وادي نهر الأردن واريحا وطبريه فكان السكر من أهم الصادرات الى الغرب الأوروبي (المرجع نفسه: ص213-214 ) أما صناعة استخراج زيت الزيتون، فنالت هي الأخرى اهتمام الصليبيين وقاموا بتصديره إلى مدن أوروبا، وانتشرت صناعة النبيذ نتيجة لانتشار مزارع الكروم ، فقد اهتم الصليبيون بصناعة استخراج النبيذ لاستخدامه في الشعائر الدينية بالكنائس والأديرة وايضا تصديره إلى الغرب الأوروبي ( حاتم عبد الرحمن الطحاوي المرجع السابق: ص215).

وتعرفت اوروبا عن طريق الحروب الصليبية على العديد من النباتات والمحاصيل الزراعية التي لم تكن معروفة من قبل كالذرة والأرز والسمسم والخروب والليمون والبطيخ والخوخ والمشمش والكرز والبلح والتفاح والرمّان والعدس والفول وقصب السكر (ارنست باركر، 1967: ص151).

مما سبق نلاحظ ان الصناعات كانت موجودة ببلاد الشام في المستعمرات الصليبية ومن هنا نشطت الحركة التجارية وساعدت على قيام التبادل التجارة بين الشرق والغرب عن طريق المدن الإيطالية مما ساهم في ازدهار الاقتصاد الصليبي ببلاد الشام (المرجع نفسه: ص216).

هذا وقد أدت الحروب الصليبية إلى تشجيع التنافس التجاري بين الشرق والغرب، حيث استغلت المدن الإيطالية هذه الحروب في احتكار أحياء تجارية بأكملها في موانى الشام ومدنه واتخذتها قواعد لمباشرة نشاطها التجاري على ان النشاط التجاري الذي أثارته الحروب الصليبية لم يقتصر على المدن الإيطالية وحدها بل أسهم فيه كثير من مدن غرب أوروبا مثل مرسيليا وبرشلونة وبعض مدن الشمال (سعيد عبدالفتاح عاشور: ص462). فازدادت تبعاً لذلك العلاقات الإسلامية - الجنويه توثقاً بعد

إقامة تلك المراكز التجارية الجنويه في مدن الشام ومصر، وإقامة محطات تجارية إسلاميه في جنوه، بل أن بعض أحياء جنونه اتخذت أسماء عربية، ومن مظاهر نشاط الحركة التجارية في هذه الفترة ، كثرة الحانات والفنادق الخاصة بالتجار المسلمين والإفرنج على السواء كما كان هناك محاكم خاصة لفض المنازعات التجارية بين التجار الصليبيين والتجار المسلمين مثل خرق الاتفاقيات المعقودة بينهم وكذلك مشاكل الديون وأمور البيع (حاتم عبد الرحمن الطحاوى، مرجع سابق: ص154).

كما اعتمد الافرنج الموازين والمكاييل العربية الإسلامية نفسها بل احتفظت بنفس اسمائها العربية، واقتبس الافرنج وظيفة المحتسب من الأسواق الإسلامية وخاصة أسواق دمشق، ويساعد المحتسب في عمله مجموعة من رجال الشرطة (الرقباء) يسهرون على امن الاسواق (المرجع نفسه: ص 154).

وتميزت الحياة التجارية في بلاد الشام بكثرة الاسواق والحوانيت والدكاكين والمخازن، التي اتبع فيها الافرنج نفس النظام الاسلامي للأسواق ببلاد الشام، حيث تألف تجار الاسواق الصليبية من ثلاث طبقات: تاجر التجزئة، وتاجر الجملة، والتاجر الاكبر، الذي يملك عملية تصدير السلع والبضائع، وكان بعض التجار وكلاء عنهم في الاسواق الصليبية والاسلامية (المرجع نفسه: ص149).

أما النقود المتداولة في الإمارات الصليبية فكانت تتمثل بالدينار الإسلامي الذي ضرب لاستخدامه في التجارة مع المسلمين، والتسهيل التعامل التجاري معهم قام البنادقة بصك الدينار الصوري في مدينة صور، فكانت عبارة عن عملة ذهبية عليها بعض النقوش العربية والآيات القرآنية، وما لبث هذا الدينار إن حمل الشعار النصراني بالأحرف العربية وكان تجار الشام والعراق يتعاملون هذا الدينار تسهيلا لأعمالهم التجارية (حسان حلاق: ص222-223).

تعرف الاوروبيون نتيجة الاتصال المباشر والطويل مع المسلمين في بلاد الشام الى الكثير من المصنوعات العربية ونقلوها الى بلادهم مثل الصناعات الزجاجية والخزفية والمرايا والحلي والسجاد والمنسوجات والأواني المعدنية والسبحات والأصباغ والعقاقير وصناعة الصابون والسكر(حسان الحلاق، المرجع نفسه: ص211)

وكذلك قام الصليبيون ببلاد الشام بتصدير الأقمشة من بلاد الشام إلى أوروبا، وتصدير الملابس الحريرية والمخمل والزجاج وكان لكتان نابلس شهرة دولية نظرا

لجودته ووفرة كمياته، فكان الإيطاليون يقبلون عادة على شراء كتان نابلس وبقية المدن الشامية والمصرية وتسويقه في الأسواق الأوروبية (حسان حلاق، المرجع السابق: ص211).

والامر الملاحظ ان مدينه دمشق متقدمة بجميل مصنوعاتها وكانت أشهرها أنواع البخور وماء الورد الدمشقى والروائح العطرية ومن أشهر العقاقير حجر الشب وكل هذا درج استعماله في الغرب خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي (رشيد الجميلي، المرج السابق: ص225)

وقام الصليبيون بشراء وتصدير الأعشاب الطبية التي عرفوها اثناء تواجدهم فى بلاد الشام مثل مادة البلسان المادة العشبية الأكثر أهمية بالنسبة لمسيحي أوروبا فهي تستخدم في طقوسهم الدينية (زكي النقاش، 1957م: ص185).

كما نقل الأوروبيون بعض الصناعات مثل صناعة الشمع وصناعه الخزف وأساليب الحفر على الخشب والتطعيم والكتابة المذهبة على الجلد بأساليب لم تكن معروفة في أوروبا من قبل والصباغة ومزج الألوان بوسائل كيميائية لتثبيتها على النسيج واستحداث ألوان جديدة (ممدوح حسن، د.ت، ص664)

من خلال ما سبق نجد أن الحضارة العربية الإسلامية ـ انتقلت إلى أوروبا خلال فترة العصور الوسطى وأدت دوراً إيجابياً في انتقال أوروبا لعصر النهضة وذلك عبر قنوات عديدة منها صقلية والأندلس والتجارة والحروب الصليبية فكانت هذه الجسور الأهم في عملية انتقال الحضارة العربية الإسلامية

**الفصل الثاني: مظاهر الأثر الاقتصادي للحضارة الإسلامية في أوروبا خلال العصور الوسطى**

مع بدايات القرن الثامن الميلادي بدأت الحضارة الإسلامية في التوسع نحو الغرب، فاستقرت في الأندلس وصقلية، وأقامت صلات تجارية وعلمية متينة عبر البحر المتوسط، ولم يكن هذا الاحتكاك مجرد علاقة عابرة، بل تطور ليشكل أعمدة التحول الاقتصادي الأوروبي خاصة في العصور الوسيطة التي كانت أوروبا خلالها تعاني من تفكك اقتصادي وتدهور زراعي.

وفي سياق هذا الفصل، تبرز أهم المظاهر الاقتصادية التي أثرت بها الحضارة الإسلامية في أوروبا من خلال الزراعة والصناعة والتجارة وحتى الفكر الاقتصادي.

**المبحث الأول: التأثير الزراعي والصناعي**

مع دخول المسلمين إلى الأندلس وصقلية، ظهرت ممارسات زراعية جديدة على الأراضي الأوروبية كانت غير معروفة من قبل، فقد قام العرب بإدخال محاصيل لم تكن مألوفة في أوروبا مثل: الأرز والليمون وقصب السكر والبرتقال والسبانخ والباذنجان وقد شهدت هذه المحاصيل رواجاً في أوروبا.

كما أبدع المسلمون في أنظمة الري مثل السواقي (الناعورة) والقنوات تحت الأرض (القلح أو القناه) والتي ساهمت في تحويل مساحات واسعة من الأراضي الجافة إلى حقول خصبة فهذه التقنيات كانت منتشرة في أشبيلية وبلنسية وغرناطة مما ساهم في ازدهار الزراعة بشكل لم تعرفه أوروبا من قبل.

أما المجال الصناعي كانت صناعة الورق من أهم الابتكارات الإسلامية التي انتقلت إلى أوروبا، فقد أنشاء المسلمون أول مصنع للورق في مدينة شاطبة بالأندلس، في القرن العاشر الميلادي، ومن هناك انتقل هذا القبيل لصقليه تم: إيطاليا، وهذا بدوره سهل عملية الكتابة والإدارة في اوروبا كما ساهمت الطواحين المائية والهوائية التي كانت مستخدمة على نطاق واسع في الأندلس في رفع إنتاجية الصناعة والزراعة ونقلتها اوروبا عن المسلمين (عبد الفتاح رجب، مجلة وادى النيل، ص366 - 368).

**المبحث الثاني: - التأثير فى التجارة والأنظمة المالية**

لم تكن التجارة الإسلامية مجرد تبادل السلع بل نظام اقتصادي متكامل، وقد تأثرت بأروبا بشكل مباشر بالتقنيات والأساليب التي مارسها المسلمون في التجارة، خصوصا وفيما يتعلق بالعقود التجارية مثل (القراض ))، و((المضاربة)) فازدهرت التجارة بين البلاد الاسلامية والاوروبية وانتقلت المؤثرات الصناعية الشرقية الى مختلف مناطق اوروبا فقد اشتد الطلب في اوروبا في العصور الوسطى على التجارة الشرقية كالتوابل والاصباغ والحرير والخزف والصابون، وكانت المصالح الاقتصادية هي التي تتحكم بالعلاقات بين تجار المنطقة وتجار الغرب، ومما يدل على ذلك ان المدن الايطالية لم تبادر اثناء الحروب الصليبية بسرعة الى مساعدة الحملات الصليبية لان رخاءها وتطورها الاقتصادي يتوقف على استمرار العلاقات طيبة مع المسلمين، ولكن عندما شعر الايطاليون بأن احتلال بلاد الشام ممكن ان يضاعف ارباحهم فإن سفن وسكان .... وبيزا والبندقية لم يترددو في المساهمة في الحملات الصليبية، غير ان هؤلاء التجار

الايطاليين وسواهم من التجار الاوروبيون عرفوا كيف يقيمون الصداقات والعلاقات التجارية مع المسلمين (حسان حلاق، المرجع السابق: ص216)

ونتيجة لكثرة التبادل التجاري بين الشرق والغرب أدى إلى قيام علاقات رسمية بين التجار وذلك عبر المعاهدات الرسمية التي ضمنت قيام التجارة وحقوقها وحقوق التجار في كلا الجانبين، كما أن هذا النشاط مهدد بالانهيار النظام الإقطاعي (حسان الحلاق، المرجع السابق: ص223).

أما التجارة في إيطاليا استفادوا من الخبرات الإسلامية في المجال البحري حيث تعلموا أنظمة الملاحة واستخدام السفن الإسلامية (كالدهاليز الشواني) في التجارة هذا الانفتاح التجاري مكنهم من تأسيس طرقهم الخاصة لاحقاً، لكن على أسس ومفاهيم اسلامية (عبد الفتاح رجب المرجع السابق: ص370-372).

وإلى جانب ذلك ظهر التأثير في الفكر الاقتصادي فمع تزايد التفاعل الثقافي بين المسلمين والأوروبيين، بدأ الأوروبيون في ترجمة أعمال علماء المسلمين، ليس في الطب والفلك فقط بل ايضاً في الاقتصاد والفكر الاجتماعي، وكان ابن خلدون من أبرز هؤلاء المفكرين الذين أثروا في أوروبا من خلال نظرياته في(العمران) والضرائب، ودور الدولة في الاقتصاد والركود والازدهار وهي أفكار مهدت في ظهور الفكر الاقتصادي الحديث.

انتقل السوق الاسلامي المنظم إلى أوروبا من خلال احتكاك الأوروبيون بالمسلمين حيث شاهدوا تنظيم الأسواق ومراقبة الأسعار وتوزيع الحرف والمهن ودونوا الملاحظات ونقلوها إلى بلادهم، كما قاموا بترجمة العديد من الكتب الخاصة بالأحكام الفقهية والاقتصادية منها كتب الحسبة والفقه التجاري، وانتقلت مفاهيمها إلى المراكز التجارية في إيطاليا وفرنسا (نادية مصطفى: ص88-91).

فالحضارة الإسلامية لم تكن مجرد ثقافة عابرة في محيطها الجغرافي بل قوة اقتصادية ذات أثر فعال في تشكيل بنية الاقتصاد الأوربي الوسيط بدءاً بالزراعة والصناعة، مروراً بالتجارة وصولاً إلى الفكر الاقتصادي حيث ترك المسلمون بصمه لا يمكن إنكارها سواء في جنوب أوروبا أو في مراكز النهضة لاحقاً.

## المبحث الثالث

### نتائج التأثير الاقتصادي الإسلامي على أوروبا خلال العصور الوسطى

منذ مطلع القرن الحادي عشر الميلادي، بدأت المدن الأوروبية الواقعة على أطراف المتوسط تشهد نشاطاً اقتصادياً متزايداً، تزامناً مع التوسع الإسلامي في الأندلس وصقلية وقد لعبت هذه المناطق دور المعبر الأول للمنتجات والمعارف الاقتصادية الإسلامية، حيث نقلت معها اساليب زراعية وأنظمة السوق وطرق المحاسبة، كما أدت حركة الترجمة في طليطلة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، إلى إدخال مفاهيم عالمية كان لها بالغ الأثر في تطوير الاقتصاد الأوروبي، وأدى الاطلاع على مؤلفات العلماء المسلمين في الفلك والرياضيات والمحاسبة مثل الخوارزمي إلى اعتماد طرق جديدة في الحساب التجاري وتنظيم الاسواق، حيث استعادت المدن الأوروبية نماذج الأسواق المنظمة من المدن الإسلامية مثل فاس ودمشق وبغداد وتعلمت نظم الضرائب والجباية والوقف الإسلامي كأدوات لإدارة المال العام، ومع توسع العلاقات التجارية بين كل من شمال إيطاليا والعالم الإسلامي، بدأت طبقة جديدة من التجار الأوروبيين بالبروز لا سيما في جنوه والبندقية، وقد تأثر هؤلاء التجار بممارسات الأسواق الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بتبادل السلع ونظام الوكالة، وعقود المضاربة، والصكوك فظهر في أوروبا ما يسمى (بيوت المال) التي نشأت على غرار (دار المال) الإسلامية كما بدأ استخدام الأوراق التجارية المستوحاة من الصكوك المالية الإسلامية، حيث اشار المؤرخ البلجيكي هنري بيرين أن التجارة الإسلامية هي التي أيقظت أوروبا من سباتها)[1]

( Henri pirenneMohammad and Charelmagne. P173)

**الخاتمة:**

كان الأثر العربي الاسلامي واضحاً على اوروبا من الناحية الاقتصادية خلال العصور الوسطى، حيث اظهرت الدراسة أن الحضارة العربية الاسلامية قد انتقلت إلى اوروبا خلال العصور الوسطى وادت دوراً ايجابياً في انتقال اوروبا لعصر النهضة وذلك عبر قنوات عديدة منها: الحروب الصليبية وصقلية والاندلس، فكانت هذه الجسور الاهم في عملية انتقال الحضارة العربية الاسلامية وذلك لأن الاحتكاك الاوروبي بالعرب استمر طوال الفترة الوسيطة من العصور الوسطى، فقد ادى اختلاط الاوروبيين

بالعرب والمسلمين عبر تلك الطرق الى اقتباسهم الكثير من معالم الحضارة العربية الاسلامية في مختلف المجالات ولا سيما الحياة الاقتصادية

حيث اظهرت الدراسة ان الحضارة العربية الاسلامية كانت ذات قوة اقتصادية وحضارية فاعلة خلال العصور الوسطى، وكان ذلك واضحاً من الناحية الاقتصادية وفي مجال الزراعة دخلت الكثير من المحاصيل الزراعية الى اوروبا عن طريق الشرق، وفي مجال الصناعة تعرف الاوروبيون نتيجة الاتصال المباشر والطويل مع المسلمين في بلاد الشام الى الكثير من المصنوعات العربية ونقلوها الى بلادهم، اما في مجال التجارة ازدهرت التجارة بين البلاد الاسلامية والاوربية وانتقلت المؤثرات الصناعية الشرقية كالتوابل والاصباغ والحرير والخزف والصابون.

برهنت الدراسة أن الحضارة الاسلامية وفرت نموذجاً اقتصادياً متكاملاً استطاع ان يتجاوز حدوده الجغرافية ليؤسس جذور النهضة الاوروبية.

**قائمة المصادر والمراجع:-**

**أولا: المصادر**


1. ابن خلدون: ابوزيد عبدالرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ق1، ج 4، دار الكتاب اللبناني: بيروت، 1968.
2. الحموي: ياقوت، معجم البلدان، ج3، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1990م.


**ثانياً: المراجع العربية:**


1. أرشيد يوسف أبو أرشيد، الحضارة الإسلامية، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004م.
2. الجميلي: رشيد، الحضارة العربية الاسلامية، جامعة قاريونس، د.ت
3. الطحاوي حاتم عبد الرحمان الطحاوي، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، عين للدراسات والنشر، 1999م.
4. السباعى: مصطفى، من روائع حضارتنا، القاهرة، دار الوراق، 1998م
5. العربي: محمد عبد الله العربي، النظام الاقتصادي في الإسلام، القاهرة، دار الفكر، 2005.
6. حلاق: حسان، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الدار الجامعية للنشر، الاسكندرية، 1986م.
7. رسلان: عبدالمنعم، الحضارة العربية في صقلية وجنوب ايطاليا، الكتاب الجامعي، الرباط، 1980م

8. زينب، نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الامير للثقافة، بيروت، 1995م.
9. عاشور: سعيد عبد الفتاح، أوروبا في العصور الوسطى، (التاريخ السياسي) مكتبة الانجلو، ط10، 1986م.
10. عبد الغنى: يسرى، المدينة العربية الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.
11. عزيز: أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الدار العربية الكتاب، بيروت، 1980م.
12. عباس: إحسان، العب في صقلية، دار الثقافة: بيروت، 1975م.
13. عبد الفتاح غنيمة، ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأولها على الفكر الأوروبي، دار الفنون العلمية، الإسكندرية، 1991م.
14. محمد مؤنس عرض الحروب الصليبية، دراسات تاريخية ونقدية، "سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشرق، عمان، 1999م.

**ثالثا: المراجع المعربة:**

1- بيرنارد لويس: المغرب في التاريخ، ترجمه نبيه فارس - بيروت، دار العلم للملايين، 2002م
2- بيير غيريمال وآخرون موسوعة تاريخ أوروبا، ترجمة انطوان واخرون، 2012م.
3- مارغريتا لوبيت غوميز، إسهامات حضارية للعالم الإسلامي. في أوروبا عبر الأندلس، ج 2، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوش، 1999م.
4- جاك لوغوف، المثقفون في العصور الوسطى، ترجمة، حسن بحراوي، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2005م.
5- ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج4، ط2، القاهرة، 1965م.
6- ارستد باركر، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني دار النهضة، بيروت، 1967م.

**المراجع الاجنبية:**

1- Erich BoRkkiera Die Arkropologies Augestiu. 1934. P564.